الفصل السابع

التعجب

التعجبُ انفعالٌ يحدثُ في النفسِ عند مشاهدةِ ما يُجهلُ سببُه ، ويقلُّ وجودُه في نظرِ المتعجبِ .

والتعجبُ يشملُ النقيضين من الإعجابِ والتقبيحِ ، نحو : ما أجملَ الصدقَ ! . ما أسوأ الكذبَ ! .

والتعجبُ يكمنُ فيه معانى المبالغةِ ، والإبهامِ ، والتصييرِ ، أي : تصييرُ شيءٍ للتعجبِ منه ذا صفةٍ معينةٍ يُتعجبُ منها .

والتعجبُ معنى إنشائي لا خبرى .

التراكيبُ التي يأتي عليها :

يردُ التعجبُ في عدةِ تراكيبَ ، هي :

أ ـ النداء ولام التعجب المفتوحة الجارة للمتعجب منه ، نحو : يا لَلَّداهيةِ ! .

يا لَلدهشةِ ! لَذكائِهِ وهي صورةُ المنادى المستغاثِ ، حيثُ يكونُ المتعجبُ منه منادًى مستغاثًا .

ومنه قولُ امرئ القيس :

فَيَالَكَ مِن لَيْلٍ كَأَنَّ نُجُومَهُ ... بِكُلِّ مُغَارِ الفَتْلِ شُدَّتْ بِيَذْبُلِ

حيثُ يتعجبُ الشاعرُ من طولِ الليلِ .

ومنه : يا لَهُ رجلًا ! ... يا لكم من مواطنين صالحين !

ب ـ على مثالِ : لله دَرُّهُ عالما ! لله دَرُّه فارِسا ! وهي جملةٌ اسميةٌ تقدَّم خبرُها شبهُ الجملة، أما الاسمُ المنصوبُ فيعربُ تمييزًا ، وهو تمييزُ نسبةٍ .

جـ ـ عبرات مجازية دالةٌ على التعجب :

منها : سبحان الله ! . تبارك الله ! .

لا إلهَ إلا اللهُ ! . تعالى الله ! .

عجبي ! . واعجبي !.

وَيْلُمِّه رجلًا ! قاتلَه اللهُ من رجلٍ !

ناهيك به ! ناهِيك من رجل !

ومنه الاستفهامُ التعجبي ، نحو قولِه ـ تعالى :

﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ [النساء:٢١] .

﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ﴾ [آل عمران:١٠١] .

ومنه اسمُ الفعلِ : واهًا ! واهًا له !

د ـ صيغة (ما أَفْعَلَه) .

هـ ـ صيغة (أَفْعِلْ به) .

ويدرس في هذا القسمِ صيغتا : ما أفعلَه ، وأَفْعِلْ به .

صيغتا (ما أَفْعَلَه وأَفْعِلْ به)

يذكرُ جمهورُ النحاةِ أن (أَفْعَلَ وأَفْعِلْ) فعلان ماضيان جامدانِ ، وكيْ على مثالِهما للتعجِ يجب أن يتوافرَ فيما يصاغُ منه الشروطُ الآتيةُ :

١ ـ أن يكونَ له فعلٌ ، فلا يبنيانِ ممَّا لا فعلَ له ، كالجصانِ ، والجِلْفِ ....

لكن شَذَّ قولُهم : ما أجْدره ! ما أقْمَنَه ! ما ألَصَّه !

٢ ـ أن يكونَ ثلاثيًّا ؛ لأن (أفعل) في التعجبِ أصلُه ثلاثيٌّ مضمومُ العين .

لكنه قد سُمِع : ما أعطاه للدرهم ! وما أوْلاه للخير !

وما أتْقاه لله ! ما أملأَ القربةَ !

من : أعطى ، وأَوْلى ، وأتْقي ، وامتلأ . وكلُّها زائدةٌ .

كما شَذَّ ما سُمعَ من : ما أغناني عن الناس ! وأفقَرني إلى الله ! . من استغنى ، وافتقر .

ويردُّ على بعضِ ذلك بأنه سُمِع : تقي ، بمعنى خاف ، ومَلُؤ بمعنى امتلأ ، وغنى وفقُر بمعنى استغنى وافتقر .

كما شَذَّ : ما أخْصَره ! من : اخْتُصِر .

٣ ـ أن يكونَ متصرفًا : فلا يصاغُ من الجامد ، نحو : عسي ، ليس ، هَبْ ، تعلَّمْ ، نِعْم ، بِئْس .

ولا من ناقصِ التصرفِ ، نحو : كاد ، كرب ، أوشك ...

ولا مما استُغْنى عن تصرفِه بتصرفِ غيره ، نحو : يذر ، ويَدَع ...

٤ ـ أن يكونَ تاما ، فلا يصاغ من الناقصِ ، نحو : كان ، وكاد ...

٥ ـ أن يكونَ مثبتًا .

٦ ـ ألا يكونَ مبنيا للمجهول .

وكثيرٌ من النحاةِ يستثنون من ذلك ما كان ملازمًا للبناءِ للمجهولِ ، مثل : عُنِي ، زُهِي ، حيثُ يُجِيزون : ما أعناه ! ما أزْهاه ! كما شَذَّ ـ كما ذكرْنا ـ قولُهم : ما أخْصَره ، من : اخْتُصِر مبنيا للمجهولِ ، وزائدًا على الثلاثةِ .

٧ ـ ألا يكونَ الوصفُ المشتقُّ منه على مثالِ : أفْعل (للمذكر) ، فعلاء (للمؤنث) . كالدالَّات على الألوانِ : أحمر حمراء ، وعلى العيوب والحلي الخلقية ، نحو : أعور عوراء ، أعمي عمياء ، أَلْمى لَمْياء ...

٨ ـ أن يكونَ معناه قابلاً للمفاضلةِ والتفاوتِ في الصفاتِ ، فلا يصاغُ من الموتِ أو الفناء أو الحياةِ ....

فتقولُ متعجبًا من معنى ما اجتمعَ فيه الشروطُ :

ما أجملَ الربيعَ ! أَجْمِلْ بالربيعِ !

ما أفْضَلَ الوفاءَ ! أَفْضِلْ بالوفاءِ !

ما أكرَمَ الصديقَ ! أَكْرِمْ بالصديقِ !

ما أسْمَى صفةَ الإخلاصِ ! أسمِ بصفةِ الإخلاصِ !

ما أحْسَنَ العملَ الشريفَ ! أحْسِنْ بالعملِ الشريفِ !

ما أصْدَقَ محمدًا ! أصْدِقْ بمحمدٍ !

ما أقْوى الرياضيَّ ! أقْوِ بالرياضيِّ ! .

كيفية التعجب مما فقد شرطا :

إذا فُقد شرطٌ في الفعلِ الموادِ التعجبِ منه من الشروطِ السابقة ؛ فإنه يُؤْتى بمثالِ صيغتي التعجب من فعلٍ مساعدٍ معناه ملائمٌ تتوافرُ فيه الشروطُ المكورةُ ، ثم يُذكرُ بعدَه واحدٌ من :

أ ـ المصدرِ المؤولِ (أن) والفعلِ المضارعِ للمعنى المرادِ التعجبُ منه ، وهذا مطلقًا ، فيقال :

ـ ما أجدرَ أن تستذكرَ دروسَك ! (من استذكر) . أجْدِرْ بأنْ يستذكر ...

ـ ما أطيَبَ أن تكونَ في خيرٍ ! (من كان) . أطْيِبْ بأن تكونَ ...

ـ أقبح بألا يُخلصَ المرءُ في عمله ! من (لا يخلص) . ما أقبحَ ألّا يخلصَ ...

ـ أنْصِعْ بأن يبيضَّ الثوبُ ! من (يبيضُّ) . ما أنْصعَ أن يبيضَّ ...

ـ ما أحسنَ أن يقالَ الحقُّ ! من (يقال) . أحْسِنْ بأن يقالَ ...

أما ما لم يتوفرْ فيه القبولُ للمفاضلةِ ، وما كان جامدًا فلا يُتعجبُ به أو منه .

ب ـ فإذا كن الفعلُ المرادُ التعجبُ منه أكثرَ من ثلاثةِ أحرفٍ أو كان الوصفُ منه على مثالِ (أفعلَ فعلاء) فإنه يجوزُ أن يذكرَ بعدَ الفعلِ المساعدِ ذي المعنى الملائمِ المصدرُ الصحيحُ من المعنى المرادِ التعجبُ منه ، فيقال :

ما أقْنَى حمرةَ الوردة ! أقْنِ بحمرةِ الوردةِ !

ما أصفى زرقةَ السماء ! أصْفِ بزُرْقةِ السماء !

ما أجدَرَ استذكارَ الدروس ! أجْدِرْ باستذكارِ الدروِ !

ما أسرع استخراجَ البترول في القرن العشرين ! أسرِعْ باستخراج البترولِ في القرنِ العشرين !

جـ ـ إن كان المتعجبُ منه فعلاً ناقصًا فإنه ـ كما يرى كثيرٌ من النحاةِ ـ يؤتى بالمصدرِ منه بعد الصيغةِ من الفعلِ المساعدِ ، وإن لم يَكُنْ له مصدرٌ فإننا نذكرُ بعد الفعلِ المساعدِ المصدرَ المؤولَ منه . فتقولُ :

ما أعظمَ كونَه جميلًا ! أَعْظِمْ بكونِه جميلًا ! .

ما أكثرَ ما كان محسنًا ! . أَكْثِرْ بكونِه محسنًا ! .

د ـ يجوزُ فيما كانَ قابلًا للتفاوتِ أن نضيفَ إليه صفةً ونتعجبُ منها . فتقول : ما أفجعَ موتَه ! . أَفْجِعْ بموتِه ! .

صيغة (ما أفعله) إعرابيا :

(ما) :

في محل رفعٍ ، مبتدأ مبنى ، وفي اسميتِها أربعةُ آراء ، هي :

١ ـ تكون نكرة تامة بمعنى (شيء) ، والجملةُ التي تليها خبرٌ لها في محل رفع . والتقدير: شيءٌ أفضلَ محمدًا .

٢ ـ تكون استفهاميةً ، والجملةُ التي تليها خبرُها .

٣ ـ تكون اسمًا موصولا ، والجملةُ التي تليها صلتُها ، لا محلَّ لها إعرابيا ، أما خبرُها فمحذوف ، والتقديرُ : الذي أحسن زيدًا شيءٌ .

٤ ـ تكون نكرةً موصوفةً ، والجملةُ بعدها في محل رفع صفةً لها ، وخبرُها محذوفٌ . والتقديرُ : شيءٌ أَحْسَنَ زيدًا موجودٌ .

وهي في كل الأحوال مبتدأ مبنى مرفوع محلا ، والرأيُ الأولُ أرجحُ وأكثرُ شيوعا .

(أفعله) :

أفعل : فعلٌ ماضٍ مبنى على الفتح ، فاعلُه ضميرٌ مستترٌ تقديرُه : هو ، يعودُ على(ما) على أرجحِ الآراء .

والجملةُ يحدَّدُ موقعُها الإعرابي تبعًا لإعراب (ما) السابقِ فهي :

١ ـ إما خبرُ (ما) النكرةِ التامة ، في محل رفعٍ .

٢ ـ وإما خبرُ (ما) الاستفهاميةِ ، في محل رفعٍ .

٣ ـ وإما صلةٌ لما . لا محل لها إعرابيا .

٤ ـ وإما نعتٌ لما النكرةِ الموصوفةِ ، في محل رفع .

أما (الهاء) وهو الضمير الذي يكنى به عن المتعجب منه فإعرابُه مفعولٌ به دائمًا منصوب .

وعلى هذا يمكنُ إعرابُ مثالِ هذه الصيغة (ما أجملَ الربيعَ) على النحوِ الآتي :

ما : تعجبية نكرة بمعنى (شيء) ، مبتدأ مبنى في محل رفع .

أَجْمَلَ : فعلٌ ماضٍ مبنى على الفتح . وفاعلُه ضميرٌ مستتر تقديره : هو . يعودُ على (ما).

والجملةُ الفعليةُ خبرُ المبتدإِ (ما) في محل رفعٍ .

الربيع : مفعولٌ به منصوبٌ ، وعلامةُ نصبه الفتحة .

فإذا كان في جملةِ التعجب نكرةٌ منصوبةٌ بعد اكتمالِ أركانِها مثل : ما أجملَ الربيعَ فصلًا؛ فإنها تعربُ تمييزًا من المفعولِ به .

صيغة (أفعل به) إعرابيًّا :

يرى النحاةُ أن صيغةَ (أفعل به) التعجبية ـ وإن كانت على صورةِ الأمرِ ـ فهي معدولةٌ عن صيغةِ (فَعُلَ فعلانُ) بضمِّ عينِ الفعلِ ، وهو ماضٍ .

وعلى هذا فإن إعرابَ الصيغةِ تكون كما يأتي :

أَفْعِل : فعلٌ ماضٍ مبنى مقدرًا ، وجاء على صورةِ الأمرِ للتعجبِ به .

الباء : حرفُ جر زائد مبنى ، لا محلَّ له من الإعراب .

الهاء : فاعلٌ مرفوعٌ مقدرا ، أو في محل رفع مقدر ، منع من ظهورِ حركةِ الرفع اشتغالُ المحلِّ بحركةِ حرفِ الجر الزائد .

فإذا أردنا إعراب (أجمل بالربيع) فإنه :

أَجْمِلْ : فعل ماض مبنى على الفتحِ المقدر ، وجاء على صورة الأمر للتعجب به .

الباء : حرف جر زائد مبني ، لا محل له إعرابيا .

الربيع : فاعلٌ مرفوعٌ بالضمة المقدرة ، منع من ظهورِها اشتغالُ المحل بحركةِ حرفِ الجر الزائد .

فإذا كانت جملةُ التعجب نحو : أَجْمِلْ بالربيعِ فصلًا ؛ فإن (فصلًا) تنصبُ على التمييزِ من الفاعلِ .

تعقيبات :

أولا : (أفعل) التعجب بين الاسمية والفعلية :

يختلف النحاةُ فيما بينهم في مبنى (أفعل) التعجبى بين الاسميةِ والفعليةِ على النحوِ الآتي :

١ ـ يذهب الكوفيون إلى أنه اسمٌ ويستدلُّون لذلك بما يأتي :

أ ـ أنه سمع مصغَّرًا في قولِ الشاعر :

يامـا أُمَـيْلِح غِزْلانًـا شـدَنَّ لنـا من هؤلَيَّا كُنَّ الضالِّ والسَّمُرِ[1]

ب ـ أن عينَه تصح في التعجبِ ، فيقالُ : ما أقومَه ! ، وما أبيعه ! والعينُ لا تصح إلا في الأسماءِ ، أما في الأفعالِ فإنها تقلبُ إلى ألفٍ .

جـ ـ أنه لا يتصرفُ في التعجبِ ، والتصرفُ من خصائصِ الأفعال . لكن هذا مردودٌ ، حيثُ إن بعضَ الأفعالِ لا تتصرف .

٢ ـ أما البصريون فيذهبون إلى أن (أفعل) التعجبِ فعلٌ ، ويستدلون لذلك بما يأتي :

أ ـ قد تلحقُه نونُ الوقايةِ ، وهي لا تدخلُ إلا على الأفعالِ ، فتقول : ما أحسنَنى لديه ، وما أعلمنى عندك ....

ب ـ بناؤه على الفتحِ بدونِ موجبٍ يدل على أنه فعلٌ ماضٍ ؛ لأن الاسمَ يبنى على الفتحِ لموجبٍ ، ويكونُ مرفوعًا إذا لم يُبْنَ .

جـ ـ (أفعل) التفضيلِ ينصبُ المعارفَ والنكراتِ ، تقولُ : ما أفضلَ الصدقَ ! وما أجملَ وردةً قطفتُها !

---

(١) التبصرة والتذكرة ١ ـ ٢٧٢ / شرح ابن يعيش ١ ـ ٦١ ، ٣ ـ ١٣٤ ، ٧ ـ ١٤٣ / شرح التسهيل ٣ ـ ٤٠ / المساعد ٢ ـ ١٥٥ / الصبان على الأشمونى ٣ ـ ١٨ .

وهو دليلٌ على أنه فعلٌ ، ولو كان اسمًا لنصبَ النكرةَ فقط دونَ المعرفةِ .

د ـ أما تصغيرُه وهو فعلٌ لشبهِه بفعلِ التفضيلِ فحمل عليه ، وهو في التصغيرِ اسمٌ .

ثانيا : فعلَا التعجبِ ماضيانِ :

لا يُتَعجبُ إلا بما ثَبُت . وهو واضحٌ في صيغةِ (ما أفعَلَه) ، أما صيغة (أَفْعِلْ به) فتقديرُها : فَعُلَ ، فإذا قلت : أَجْمِلْ بالصدقِ ؛ فإن تقديرَه : جَمُلَ الصدقُ ـ كما ذكرنا .

ثالثا : فعلا التعجب جامدان :

يلزمُ فعلا التعجبِ الصيغةَ البنائيةَ التي وُضِعا عليها ، وهما : أَفْعَل (بفتحِ فسكونِ ففتحِ) ، وأَفْعِلْ (بفتحِ فسكونِ فكسرٍ) فلا يتصرفان ، ويلزمُ الأولُ صيغةَ الماضي ، والثاني يكونُ في صورةِ الأمرِ للتعجبِ ، ويقدرُ بالماضي .

لذلك فإنها كالأمثالِ لا يجوزُ أن يلحقَ بهما تغيرٌ ، ولا يجوزُ أن يتغيرا مع اختلافِ العددِ والجنس . فتقولُ :

يا مواطنُ ؛ ما أفضلَ الوفاءَ للوطنِ .

يا رجلان ؛ ما أفضلَ الوفاء للمواطن .

يا رجالُ ؛ أَفْضِلْ بالوفاءِ للوطنِ .

يا مواطنةُ ، أو : يا مواطنتان ؛ أو : يا مواطناتُ ؛ ما أفضلَ الوفاءَ بالوطنِ . وأَحْسِنْ بالوفاءِ للوطنِ .

رابعًا : ما أصلُه على مثالِ (أَفْعَل) :

يعملُ عملَ فعلِ التعجب ما كان أصلُه على مثالِه ، ويتمثلُ ذلك في (خير وشر) ، ويبدو ذلك في قولِهم : ما خيرَ اللبنِ للصحيح ، وما شَرَّه للمبطون ، أي : ما أَخْيَرَ اللبن وما أَشَرَّه .

فتحذفُ الهمزةُ منهما في (أفعل) التفضيل ، ولا تثبتُ إلا في ندرةٍ ، كما جاء في قراءةِ أبي قلابةَ قولُه تعالى : ﴿بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ﴾ [القمر:٢٥] ، بفتحِ الشينِ وتضعيفِ الراءِ ، اسم تفضيل من الشر ، بإثباتِ الهمزةِ .

وقولِ رؤبة :

بلالٌ خيرُ النـاسِ وابـنُ الأخْـيَرِ [1]

وقد يعاملُ (أحبُّ) معاملةَ (خير وشر) بحذفِ الهمزةِ في التفضيل منه ، فيكونُ (حب)، ومنه قولُ الأحوص :

وزادني كَلَفـــا في الحـــبِّ أن مَنَعَـــتْ وحَبُّ شيءٍ إلى الإنسانِ ما منعـا [2]

أي : وأحب ، وقيل : إنه ضرورة .

وتحذفُ الهمزةُ من (أخير وأشَرّ) لكثرةِ الاستعمالِ ، وفي رأى الأخفش أنهما لـمَّا لم يُشتقَّا من فعلٍ خُولفَ لفظها[3].

خامسا : مبنى المتعجب منه :

لا يكونُ المتعجب منه إلا معرفةً ، نحو : ما أفضلَ الوفاءَ ! وأَجْمِلْ بالصدقِ ! .

وقد يكونُ نكرةً مختصةً ، نحو:ما أتقى رجلًا حَفِظَ العهد !. وأطِبْ برجلٍ اتَّقَى ربَّه!.

ويُعللُ لذلك بأن المتعجبَ منه مخبرٌ عنه ، والمخبرُ عنه يكونُ معرفةً ، أو نكرةً مختصةً .

سادسا : الرتبةُ بين فعلِ التعجبِ والمتعجبِ منه، وحكم الفصلِ بينهما :

هذه الرتبةُ محفوظةٌ ، حيثُ لا يتقدمُ معمولُ فعلِ التعجبِ عليه ، أي : لا يتقدمُ على المتعجبِ منه .

كما لا يجوزُ الفصلُ بينَ فعلِ التعجبِ والمتعجبِ منه .

ومن النحاةِ ـ وعلى رأسهم الفراءُ والجرمى والمازنى والزجاجُ والفارس وغيرهم ـ مَنْ يذهبُ إلى جوازِ الفصلِ بينهما بشبهِ الجملةِ ، فيجوزُ القولُ لديهم : ما أحسنَ اليومَ زيدًا ! . وما أجْمَلَ في الدارِ بَكْرًا ! .

---

(1) المحتسب ٢ ـ ٢٩٩ / شرح التسهيل ٣ ـ ٥٣ /.شرح الكافية الشافية ٢ ـ ١١٢٧ / شرح التصريح ٢ ـ ١٠١ / الصبان على الأشموني ٣ ـ ٤٣ .

(2) شرح التسهيل ٣ ـ ٥٣ / المساعد ٢ ـ ١٦٧ / شرح التصريح ٢ ـ ١٠١ / الصبان على الأشموني ٣ ـ ٤٣ .

(3) ينظر : شرح التصريح ٢ ـ ١٠١ .

وقد سُمِع : ما أحسنَ بالرجلِ أن يَصْدُقَ ! .

وما أقْبَحَ به أن يكذبَ ! .

ومنه قولُ أوس بن حجر :

أُقيمُ بدارِ الحزمِ مادام حَزْمُها ... وأَحْرِ إذا حالَتْ بأنْ أتحوَّلَا[1]

وقد أجازَ ابنُ كيسان أن يُفصلَ بين فعلِ التعجبِ والمتعجبِ منه بـ(لولا) ، وذلك أن يقالَ : ما أَحْسَنَ لَوْلا بُخْلُه زيدًا ، وأَحْسِنْ لَوْلَا بُخْلُه بزيدٍ .

سابعًا : قد تزاد (كان) بعد (ما) التعجبية :

تزادُ (كان) بعد (ما) التعجبيةِ فتهملُ عملًا ، ويثبتُ معناها ، وهو الدلالةُ على الزمنِ الذي تؤديه ، نحو : ما كان أحسنَ زيدًا . أي :حسن زيد كان فيما مضى .

ومنه قولُ عبد الله بن رواحة الأنصارى :

ما كان أسْعَدَ مَنْ أجابَك آخذًا ... بهُداكَ مجتنبًا هَوًى وعِنَادَا[2]

ثامنا : المتعجب منه فاعلٌ في المعنى :

ذكرنا أن المتعجبَ منه يعرب مفعولًا به في صيغةِ (ما أفعله) ، وفاعلًا في صيغة (أفعِلْ به) ، ولكننا إذا أمعنَّا في دلالةِ التركيبِ التعجبي نجد أن المتعجبَ منه يكون فاعلًا في المعنى .

فإذا قلت : ما أحسن محمدًا ، فالتقدير : شيءٌ أحسنَ محمدًا ، وليس هذا الشيء إلا محمدًا نفسه ، ونقل إلى (ما) المبهمةِ دلالةً على المبالغةِ التي تتلاءمُ مع معنى التعجبِ ، وهكذا ترى أن المتعجبَ منه فاعلٌ في المعنى في صيغتي التعجب .

ولتلحظْ تلاقي الفكرة التي تفترضُ أن المتعجبَ منه مخبرٌ عنه مع الفكرة التي تفترضُ فاعليةَ المتعجبِ منه .

---

(1) شفاء العليل ٢ ـ ٦٠٣ / شرح التصريح ٢ ـ ٩٠ / الصبان على الأشموني ٣ ـ ٢٤ / ضياء السالك ٣ ـ ٨١ .

(2) الصبان على الأشموني ٣ ـ ٢٥ .

لذلك فإنهم يجعلونَ التعجبَ استعظامَ زيادةٍ في وصفِ الفاعلِ خفي سببُها .

تاسعا : يجوزُ التعجبُ بالطرقِ السابقةِ كلِّها ممَّا توافرت فيه الشروطُ كلُّها ، تقول :

ما أجملَ الربيع !

ما أحسنَ جمالَ الربيع ! ما أحسنَ أن يجملَ الربيعُ !

عاشرًا : حكمُ القياسِ على ما صيغَ مما فقد شرطا :

لا يجوزُ القياسُ على ما صيغَ على مثالِ (أَفْعَلَ وأَفعِلْ) من الأفعالِ التي فقدت شرطًا من الشروطِ الواجبِ توافرُها ، ويُعدُّ شاذًّا .

حادى عشر : حذف المتعجب منه :

يجوزُ أن يحذفَ المتعجبُ منه ، كما ذكر ، وهو المنصوبُ في صيغة (ما أفعلَه) ، وما بعد الباءِ في صيغة (أَفْعِلْ به) ، ذلك إن دلَّ عليه دليلٌ ، كما هو في قولِ امرئِ القيس :

أرى أمَّ عمـــرٍو دمعُهـــا قـــد تحـــدَّرا بكاءً على عمرٍو وما كانَ أصْبَرا [1]

وكما هو في قولِه تعالى : ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾ [مريم:٣٨] . والتقديرُ : وأَبْصِرْ بهم !

ومنه قولُ على بنِ أبي طالبٍ ـ كرَّم اللهُ وجهَه :

جـــزى اللهُ عنـــي والجـــزاءُ بفـــضلِه ربيعـةَ خـيرًا مـا أعـفَّ وأكرَمَـا [2]

أي : ما أعفَّها وأكرمَها ، فحذفَ المتعجبَ منه ، وهو الضميرُ العائدُ إلى ربيعةَ المذكورةِ سابقا .

أما قولُ عُروةَ بنِ الوردِ :

فـــذلك إن يَلْـــقَ المنيـــةَ يَلْقَهـــا حميدًا وإن يَسْتَغْنِ يومًا فأجدرِ [3]

فقد حذف المتعجب منه دون العطفِ على صيغةِ التعجبِ ، وهذا شاذ .

---

(1) ديوانه ٦٩ .

(2) شرح ابن الناظم ٤٥٩ / شرح التصريح ٢ ـ ٨٩ / الصبان على الأشموني ٣ ـ ٢٠ / ضياء السالك ٣ ـ ٧٨ .

(3) ديوانه ٣٧ / شفاء العليل ٢ ـ ٦٠١ / ضياء السالك إلى ألفية ابن مالك ٣ ـ ٧٩ .

ثاني عشر : التعلق بفعلَى التعجب :

يجوز أن يتعلقَ بفعلَى التعجبِ شبهُ جملةٍ مكملةٌ للمعنى بحسبِ السياقِ ، ذلك على النحوِ الآتي [1]:

ـ إن كان المتعلقُ فاعلًا في المعنى فإنه يرتبط بفعلِ التعجبِ بحرفِ الجرِّ (إلى) ، فتقول : ما أحبَّ محمودًا إلى أحمدَ ، والتقدير: يحب أحمدُ محمودًا حبًّا شديدًا ، وتكون شبهُ الجملةِ (إلى أحمد) متعلقةً بفعلِ التعجب .

ومثلُه قولُك : أحببْ بمحمودٍ إلى أحمدَ .

ـ إن كان فعلا التعجبِ مما كان يتعدَّى بنفسه فإنهما يتعلقان بما بعد المتعجب منه باللامِ، لأن المجرورَ يكون في المعنى مفعولا به ، واللام هو الحرف الذي يصل بين الفعلِ والمفعولِ ، فتقول : ما أفهمَ محمدًا للدرسِ ، أفهِمْ بمحمدٍ للدرسِ . وما أنصرَ عليًّا للحقِّ. وأنصِرْ بعليٍّ للحقِّ .

وكلٌّ من أشباهِ الجمل (للدرس ، للدرس ، للحق ، للحق) متعلقةٌ بفعلِ التعجب الذي يسبقها .

ـ وإن كان فعلا التعجب مما يتعدى بحرفِ جرٍّ فإنهما يتعلقان بما بعد المتعجبِ منه المكملِ للمعنى بحرفِ الجرِّ الخاصِّ .

من ذلك : ما أزهدَ الصديقَ في الدنيا ، وأزْهِدْ بالصديقِ في الدنيا ، ما أخرجه من بيته ، وأخرِجْ به من بيته . ما أقواه على خصمه ، أقْوِ به على خصمِه .

كلٌّ من أشباهِ الجمل (في الدنيا ، في الدنيا ، من بيته ، من بيته ، على خصمه ، على خصمه) متعلقة بفعل التعجب الذي يتصدرُ جملتَها .

ومثله أن تقولَ : ما أنزلَه عن مكانتِه ، أنزل به عن مكانته ، ما أصعَدَه إلى العلا ، أصعِدْ به إلى العلا.

ـ إن كان من معنى العلمِ والجهل فإنهما يتعلقان بالباءِ ، كقولك : ما أعرفَ محمدًا بالمسألةِ ، وأعرِفْ بمحمدٍ بالمسألة ، وما أبصر محمودًا بالنحو ، وأبصِرْ بمحمودٍ بالنحو ، وما أجهلَ سميرًا بالخبرِ ، وأجهلْ بسميرٍ بالخبر.

---

(1) ينظر في ذلك : التسهيل ٣ـ ٤٣ / شفاء العليل ٢ ـ ٦٠٤ / المساعد شرح التسهيل ٢ ـ ١٥٩ .

ومنه أن تقول : ما أعلمَه بفنِّه ، أعلم به بفنِّه ، ما أيقَنَه بالأمر ، أيقِنْ به بالأمر ...

ـ إن كان فعلَا التعجبِ مما يتعدى إلى مفعولَيْن فإن الفاعلَ يكون متعجبًا منه ، ويتعلق أحدُ المفعولين بفعلِ التعجبِ باللامِ ، وينصب الآخر بفعلٍ محذوفٍ يُقدر من فعلِ التعجب ـ على رأي البصريين ـ وعلى رأي الكوفيين يكون نصبُه بفعلِ التعجب .

فتعجب من : (كسا محمودٌ الفقراءَ الثيابَ) بالقول : ما أكسى محمودًا للفقراءِ الثياب ، أو أكس بمحمودٍ للثياب الفقراءَ .

وتتعجب من (ظن عليٌّ الدرس سهلًا) ؛ فتقول : ما أظنَّ عليا للدرس سهلًا ، وأظنِنْ بعليٍّ للدرس سهلًا .

ومن : (أعطى الغنى المساكينَ الصدقاتِ) تتعجب فتقول : ما أعطى الغنيَّ للمساكينِ الصدقاتِ ، وأعطِ بالغنيِّ للصدقاتِ المساكينَ .

هذا إذا استثنينا الفعلَ الزائدَ (أعطى) من قاعدةِ عدم الزيادة عن ثلاثة ، كما سمع في قولهم : ما أعطاه للدرهم . وإذا لم نستثن فإننا نأتي بفعلٍ مساعدٍ فنقول : ما أكثرَ إعطاءَ الغنيِّ للمساكينِ الصدقاتِ ، وأكثرْ بإعطاء الغنيِّ للصدقاتِ المساكينَ .